رافقنا القمر الى طريق عرفت فيما بعد انها طريـــق المنفى . ولولاه ـــ كما قلت لك ـــ لضعت عن والديّ .

ـــ ماذا تذكر ايضا ؟

● أذكر أني تعلمت السفر وحدي في سن مبكرة . سافرت أمي الى عكا فغضبت لانها تركتني .وكم كنت أحب عكا !. كانت أبعد نقطة في العالم قبل سنين . وصارت الآن ـــ ويا للمفارقة ـــ أبعد نقطة في العالم مرة أخرى . كنت أحمل خمس سنين وأمشي على الشارع الاسود في اتجاه عكا .

ـــ وكيف عرفت الاتجاه ؟

● كان الشارع المعبد السائر نحو الغرب لا يعني الا السفر الى عكا . كان الحر شديدا فبكيت من الشمس والعطش . وجلست مرارا لاستريح . فكرت بالعودة فخجلت من الهزيمة .

ـــ ماذا كانت تعني الهزيمة لك ؟

● أن أطلب شيئا ولا يتحقق . أن أبدأ ولا أكمل . واكملت طريقي الى عكا . ووقفت عند مدخلها أمام مفترق طرق . كان استخدام الاتجاه الذي جئت منه ساقطا من حسابي . جربت الاتجاه الجنوبي فأوصلني الى هضبة رملية تطل على البحر . ليست أمي هنا . فعدت الى المفترق . جربت الاتجاه الشمالي فكان يقود الى بيروت. وليست أمي هناك. فعدت الى المفترق . جربت الاتجاه الغربي فأوصلني الـــى قلب المدينة . دخلت مكانا وطلبت ماء فأسقوني وسألوني عمن أبحث فقلت : أبحث عن أمي .

ـــ كيف يبحث طفل قروي عن أمه في مدينة مزدحمة ؟

● كما فعلت أنا . كنت واثقا من أنني سأجدها بين آلاف الوجوه ، ولولا خوفي من المساء الذي صار يقترب لما عدت الى القرية وحدي . ولكن طفلا في الخامسة لا بد وان يهزم . عدت الى مفترق الطرق واستعملت الاتجاه الذي جئت منه خائبا . خشيت من الليل القادم من السهل فوقفت على حافة الشارع . وقفت سيارة شحن وسألتني الى أين أنا ذاهب ، فقلت الى البروة . كانت أمي في البيت ، وكان أهل البيت والجيران يبحثون عني في كل آبار القرية . حين يضيع الطفل فلا بد أن يكون قد سقط في بئر . بكت أمي وبكيت معها ، وحين أكملت فرحتها ضربتني فأخذني جدي واعطاني حلوى .. وانتهى سفري الاول .

هذا هو طعم عكا الاول . دائما أبحث فيها عن شيء لا أجده . فتشت فيها عن أمي فكانت قد عادت الى القرية . وبعد سنين فتشت فيها عن حبيبتي فكانت تزف الى رجل آخر . وفتشت فيها عن عمل فكان الفقر يلاحقني . وفتشت فيها عن شعبي فوجدت الزنزانة والضابط الوقح . كانت آخر حدود العالم ، وأولى المحاولات والخيبة . وكان سورها يتآكل في الزمن .

ـــ تذكر شيئا آخر عن بداية العالم ؟

● أذكر شكلا غامضا ساعدني على الاستعانة بالخيال والحلم . كان الواقع يتعرض لعملية انقطاع قبل أن يأخذ شكله النامي في وعيي . وفي ظروف لاحقة كان لزاما عليّ